الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة غليزان
Université de Relizane

جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

كلية الآداب واللغات
faculty of Letters and Languages
RELIZANE UNIVERSITY

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ليسانس أكاديمي في اللغة والأدب العربي

تخصص : أدب عربي

العنوان:

التفكير اللساني عند عبد الرحمن حاج صالح

إشراف الدكتور:

خالد يعقوب

إعداد الطالبتين:

- زين ياسمين
- سعيد صافية

السنة الجامعية:

1445/1444هـ

2024 -2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وتقديـــر

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجها بأسمى عبارات الشكر والإمتنان والتقدير ، إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد ، وكان هذا كله بفضل الله وعونه وتوفيقه في إخراج هذا البحث على صورته الحالية.

وأشكر كل الأساتذة الأفاضل بجامعة غليزان وخاصة أساتذة كلية الآداب واللغات الذين أفادونا بالمصادر ودعمهم المعنوي.

الإهـــــــداء

إلى التي حملتني وسهرت على راحتي وسعادتي ....أمـي

إلى أخلاء الدرب المحبين.

إلى كل من شارك في إمدادنا بمعلومات في هذا الموضوع من قريب ومن بعيد وإلى

كل من تشرف بقراءة هذه الرسالة

مقدمة

الإنسان بشكل عام ينظر إلى نهايات الأمور لا إلى بدايتها ، وإلى أواخر الأشياء لا إلى أوائلها ومبدئها ، يجني الثمرة ويحكم على طعمها ويثني على بائعها ، ويغض النظر عن زارعها ومستنبتها ، ويلقي الطرف على لوحة ريتية ، فيمدح قماشها وخاماتها ، ويعترف بفضل صانعها ، دون النظر إلى جهوده في إخراجها ، لذلك تراه يناقش في ثمنها ، بالنظر إلى كلفة موادها وخاماتها...والأمور في الحياة على النمط المذكور تدور والذي حمل الناس على هذا السلوك ، نظرتهم إلى خواتم الموجودات فبنوا حكمهم على الظاهر وأهملوا الباطن ، فضلا على عدم الحاجة إلى التتبع والتعمق ، والإنصراف إلى التدبر والتحقق فمع بزوغ القرن العشرين مبدأ يبرز في عالم الوجود علم صرف اهتمامه إلى اللغة ، وأخذ يدرسها بوصفها ظاهرة بشرية عامة ، إذ عدها إحدى الظواهر الطبيعية التي تخضع للإختيار العملي والتقنين العلمي ، وأطلق عليه (علم اللسان) أو« linguistique » ، وقد جذب هذا العلم الأنظار إليه ، فصار له أنصار ومهتمون ، يتابعون بحوثه ، ويكشفون ما غمض من أسراره ، وقامت بينهم على صفحات الكتب وفي المحافل العلمية مناقشات في كثير من قضاياه ، استطاعوا في قسم منها التوصل إلى نتائج علمية دقيقة ، وقد انتقلت عدوى اللسانيات هذه إلى عالمنا العربي ، وبخاصة في مغربه ، وأخذ المهتمون به يسهمون في تعريف المثقفين العرب به عن طريق البحوث والدورات والندوات ، وقد برز أثناء ذلك سؤال مهم أليس عند العرب لسانيات ؟ أليس في تراثنا العربي ما يمكن أن يقف جنبا إلى جنب ما توصلت إليه اللسانيات؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية انصرف بعض الباحثين الذين تمثلوا اللسانيات العربية إلى دراسة تراثنا اللساني العربي

بعين المعاصرة ، يجلون مافيه من لمحات لسانية مضيئة ، وإن تعددت سبلهم في ذلك، واختلفت قيم ما توصلوا إليه، ولعل عبد الرحمن الحاج صالح يكون واحدا من هؤلاء ونظرا لجهوده في الميدان ا رتأينا ان نتناول اهمها بالدراسة والتحليل .

وكان اختيارنا لهذا الموضوع راجعا أساسا إلى قيمة المادة العلمية الموجودة في مؤلفات هذا الأخير الذي لم يسبق عليه أحد.

لقد قسمنا هذا العمل إلى فصلين ، تطرقنا في البداية إلى مدخل بعد المقدمة خصصنا فيه التعريف بعلم اللسانيات بشكل عام وأنواعها ، ثم انتقلنا إلى الفصل الأول وسميناه التعريف بعبد الرحمن الحاج صالح وبعض مؤلفاته وقّرائه، وفيه تطرقنا إلى أهم آراء العلماء اللغويين في اللسانيات ، ثم انتقلنا إلى التعريف بشخصية العلاّمة عبد الرحمن حاج صالح ، وختمنا هذا الفصل بالتكلم عن أهم مصنفاته.

أما الفصل الثاني فخصصناه لأهم الجهود اللسانيات لعبد الرحمن حاج صالح.

وفي الأخير لا يفوتنا أن نتقدم إلى كل من ساعدنا ولو بدعائه في تتّمة هذا العمل المتواصل أو قام في السهر على ترتيبه ، فإن نسينا أو أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان ، وإن وفقنا فمن الله العزيز الحميد ، ونرجو في الأخير قد وفقنا نوعا ما.

مدخل

تعريف اللسانيات هي الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري من خلال الألسنية الخاصة بكل قول يتجلى لنا من خلال هذا التعريف فإن اللسانيات تتميز بصفتين هما : العلمية والموضوعية ، وقد جاء في معجم اللسانيات لجون ديبوا أن اللسانيات هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة العلمية والأحكام المعيارية وكلمة علم الواردة في هذا التعريف لها ضرورة قصوى لتمييز هذه الدراسة من غيرها لأن أول ما يطلب في الدراسة العلمية هو اتباع طريقة منهجية والانطلاق من أسس موضوعية يمكن التحقق منها.

يكاد يجمع كل المهتمين بالدراسة اللسانية أو علم اللسانيات هو علم يشمل كل الظواهر المتعلقة باللغة وما يتصل بها من العلوم الأخرى بمختلف تخصصاتها وتتفرع العلوم الداخلية للسانيات إلى فرعين كبيرين هما:

اللسانيات النظرية : تتضمن علوم اللغة التي تتصل بالمستويات اللغوية كعلم الأصوات وعلم النحو أو التراكيب وعلم الدلالة وعلم الصرف.

اللسانيات التطبيقية : فتشتمل على العلوم التي تسعى إلى تطبيق الدرس اللغوي النظري على أرض الواقع ويظم هذا العلم مجموعة من التخصصات كعلم الأسلوب وصناعة المعاجم والترجمة وعلم أمراض الكلام ومناهج تعليم اللغات وغيرها.

أما الفروع الأخرى التي تتصل فيها اللسانيات بالعلوم الأخرى والتي يظهر فيها الجانب التطبيقي فهي كثيرة ومتنوعة ويمكن حصرها فيما يلي : اللسانيات الاجتماعية ، اللسانيات النفسية ، اللسانيات الجغرافية ، اللسانيات التربوية الأجناسية...إلخ[1]

[1] بن زروق نصر الدين ، محاضرات في اللسانيات العامة ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2011 ، ص06.

الفصل الأول : التعريف بعبد الرحمن حاج صالح وبعض مؤلفاته

المبحث الأول : أهم آراء العلماء الغربيين في اللسانيات

أولا : العالم السويسري فرديناندیسوسير (حياته ، مؤلفاته)

ولد فريدناندیسوسير Ferdinand desaussure في جنيف بسويسرا في 17 نوفمبر 1857 ، وقد انحدر من عائلة فرنسية بروستانتية هاجرت من لوزان خلال الحروب الدينية الفرنسية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي إلى سويسرا ، وبعدما تلقى التعليم الأولي في جنيف ، انتقل ديسوسير إلى برلين وليزيغ لمزاولة دراساته ، ومكث هناك من 1876م إلى 1878م ، يدرس اللسانيات التاريخية والمقارنة وعلى الرغم من أنه تتلمذ على يدي بعض النحاة الجدد كنوسثوف(osthoff) ولسكين (leskien) فإن خالفهم في تصورهم العام ، وفي نظرتهم الضيقة للسانيات ومن بين 1880م إلى 1891م أقام بباريس ، وتولّى خلال هذه المرحلة منصب مدير الدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا ، وفي الوقت نفسه كان يحاضر هناك لجموع الطلبة في اللسانيات التاريخية والمقارنة وفي 1891 م ، رجع إلى مسقط رأسه ، واستقر هناك يدّرس في جامعة جنيف إلى أن وافته المنية سنة 1913م عن عمر يناهز الستة والخمسين عاما.[1]

مؤلفاته :

في الواحد والعشرين من عمره نشر ديسوسير مؤلفه الأول الذي جلب له شهرة علمية عندما كان طالبا في ألمانيا بعنوان دراسة حول النظام البدائي للصوائت في اللغات الهندية الأوروبية

[1] أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 2005 ، ص118 ، 119.

mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues : indo-européennes (leipzig 1878)

كتب ديوسير مجموعة من المقالات حول اللغة جمعت كلها بعد موته بعنوان : recueil des publications scientifiques de Ferdinand de Saussure, genèvesonor édit

أما مؤلفه الشهير ، فقد صدر بعد موته بثلاث سنوات أي سنة 1916م بعنوان محاضرات في اللسانيات العامة « cours de linguistique général ».[1]

لقد تطرق دي سوسير إلى عدة مسائل نظرية لا يمكن الإستغناء عنها ، ونود فيما يلي توضيحها نذكر أهمها :

اللسانيات : يرى دي سوسير أن اللسانيات فرع من السيمياء(semiology) ، أي علم العلامات العام الذي يدرس الأنظمة المختلفة للأعراف التي بدورها تمكن الأعمال البشرية من أن يكون لها وتصير في عداد العلامات ، وبهذا يمكن للسانيات أن تكون نموذجا حيًّا للسيمياء حسب دي سوسير ، لأن طبيعة العلامات الإعتباطية والعرفية في اللغة واضحة للغاية ولا يعرفها أي غموض ، وبعد مناقشة المبادئ العامة التي ترتكز عليها اللسانيات وبيان الخطوط العريضة التي ينبغي اتباعها في دراسة اللغات ، حيث توصل دي سوسير إلى تحديد موضوع اللسانيات في خاتمة

[1] أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص146.

محاضراته قائلا : "إن موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها". ومن الأمور التي اشتهر بها دي سوسير استخدمه لظاهرة ملفتة الانتباءتمثت فيما يسمى بالثنائيات « dichotomic» ، وهي "الكلام" (la parole) ، وقد اكتسبت هذه المصطلحات صيغة عالمية في اللسانيات الحديثة ، فاللسان يدل على النظام العام للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر ويتكون من ظاهرتين مختلفتين : "اللغة" و "الكلام".[1]

وفي هذا الصدد يقول دي سوسير : "لا ينبغي الخلط بين اللفة واللسان ، فما اللغة إلا جزء محدد منه ، بل عنصر أساسي ، وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة اللسان ، ومجموعة من التواضعات الضرورية التي تبناها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة ، وإذا نظرنا إلى اللسان ككل ، فإننا نجده متعدد الجوانب ومتغاير الخواص ولأنه يمتد في غير اتساق إلى أصعدة مختلفة في آن واحد ، منها الفيزيائية والفيزيولوجية ، فإنه ينتمي في الوقت نفسه إلى الفرد والمجتمع ولأنه ليس بإمكاننا اكتشاف وحدته ، فلا نستطيع إذن تصنيفه في أية فئة من الوقائع البشرية.[2]

و"اللغة" في نظر دي سوسير واقعة اجتماعية ، وخصوصياتها ليست مجردة لا متواجدة بالفل في عقول الناس ، وبعبارة أخرى ، فهي مجموع كلّي متكامل كامن ليس في عقل واحد ، بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين ، ونلاحظ أن دي سوسير يشبه اللغة بالقاموس الذي

[1] أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص121، 122، 123.

[2] أحمد مومن ، المرجع نفسه ، ص123.

يمثل في الأصل الذاكرة الجماعية لما يحتويه من علامات لا يطيق الفرد أن يختزنها في دماغه وذلك يقوله : "إن اللغة توجد على شكل مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم تقريبا ، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد ... وهي لا تتأثر بإرادة المودعين ، ويمكن صياغة نمط وجودها بهذا الشكل :

1+1+1+1.....=1/نموذج جمعي.[1]

ثانيا : اللساني الدانماركي "لويس هيلمسليف" :

حياته :

لويس هيلمسليس (1899، 1965) صاحب النظرية البنيوية التحليلية الشهيرة : الرياضيات اللغوية (Glossematics)، التحق هيلمسيلف بجامعة كوبنهاغن في سنة 1916م ، وما إن فرغ من دراسته الجامعية حتى غادر وطنه طلبا للعلم والمعرفة في بعض بلدان العالم ، فدرس بلثوانيا في عام 1921م وببزاغ في عام 1923م ، ثم سافر بعد ذلك إلى باريس وأقام هناك عامين كاملين من 1926 إلى 1927م ، واتصل خلال هذه الفترة بمي (meillet)وفندريس(vendryes) ، وتابع محاضرتها في اللسانيات ، كما تعرف خاصة على أفكار دي سوسير ومناهجه التي ساعدته على إرساء دعائم نظريته العالمية الجديدة العلوماستيك ، ومما لا شك فيه أن الرجل قد تأثر كثيرا بالمنطق الرياضي ، والمنهج العلمي السائد أنذاك ولا سيما

[1] أحمد مومن ، المرجع السابق ، ص123.

المنطق النمساوي لكارتاب(cartap) ، وهذا ما نلحظه في الأسس العقلانية التي بنيت عليها نظريته ، ولقد تّوج عمله بمناقشة رسالة الدكتوراه بعنوان "دراسات تطبيقية" في عام 1932م ، وتعد هذه الجهود التي بذلها في العلم والتحصيل المعرفي ، شغل منصب أستاذ اللسانيات في جامعة كوبنهاغن ، وظّل يحاضر هناك حتى خلف بيدرسن(pedersen) سنة 1937م في كرسي اللسانيات المقارنة.[1]

من أهم ما جاء به لويس هيلمسليف نظرية الغلوسيماتيك، حيث جاءت هذه النظرية لتتخلى عن الدراسات اللغوية المتأثرة بالفلسفة ، والأنثروبولوجيا واللسانيات المقارنة ، وتقيم لسانيات علمية مبنية على أسس رياضية ومنطقية وكلية تعني بوصف الظواهر اللغوية ، وتحليلها وتفسيلها بطريقة موضوعية وتتميز هذه النظرية عن باقي النظريات اللسانية الأخرى بدرجة لا مثيل لها من التجريد النظري وخاصة في مجال التعريف والتنظيم والتصنيف ، وكما يقول عنها "هيلمسليف" : إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي ، يمكن من فهم كّل النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل إنها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات ، بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية ، والتعريفات والنظريات المحكمة التي تمكن من احصاء كّل امكانات بين عناصر النص الثابتة.[2]

[1] أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص157 ، 158.

[2] أحمد مومن ، المرجع نفسه ، ص159 ، 160.

والشيء الغريب الذي نلحظه في هذه النظرية هو الميل الشديد اتجاه صياغة مفردات جديدة ، واستعمال عبارات عتيقة بمعان جديدة فمصطلح "غلوسيماتيك" (Glossematics) اشتق من الكلمة الإغريقية « glossa » التي تعني اللغة ، وتهتم الغلوسيماتيك بدراسة الغلوسيمات« glossemes » أي الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة وتنقسم بدورها إلى قسمين : وحدات التعبير ، وتدعى سوانم(genemes) من الإغريقية « kemes» بمعنى فارغ ومصطلح plereme من الإغريقية أيضا بمعنى مليء ، وهكذا فإن الوحدات ذات المحتوى كمورفيمات(morphémes) مدرسة براغ أو افاظم(monémes) مدرسة جنيف أصبحت تدعى مضامين ، أو مكونات دلالية وعلاوة على هذا ، فمصطلح « phonematics » الذي ظهر في عام 1935م استبدل بمصطلح « cenematics » في عام 1936م كما نلاحظ مصطلح تعالقات« corretations » للدلالة على العلاقات الاستبدالية ، ومصطلح علاقات « relations » للدلالة على العلاقات الركنية الأفقية ، ومصطلح وظيفة fonction للدلالة على كل علاقة أفقية بين أي مفردتين ويختلف مفهوم الوظيفة في هذا السمت عن كل المفاهيم التي اقترنت بهذه الكلمة سواء في النحو التقليدي ، أو الرياضيات ، أو اللسانيات الحديثة ، ويدل على كل علاقة غير مادية ومجردة وشكلية ، ومن المصطلحات التي استعملها هيلمسليف أيضا مستوى التعبير (expression plane) ، ومستوى المضمون (pontent plane) ، والنظام (system) والنص (text) والتحليل (analyse) ، والمتغير (vartant) والتحفيز والنمط (shema) ، والموظف ..... ،

وقد استبدل هيلمسليف ثنائية اللغة والكلام لدي سوسير بثنائية أخرى أطلق عليها النمط (schema) والنص (text) ، أو الاستعمال (usage) .[1]

العالم الروسي كسبون :

حياته :

ولد هذا العالم بموسكو سنة 1896م ، وزاول دراساته هناك بمعهد اللغات ، ثم بالجامعة المركزية ، حيث تخصص في اللسانيات المقارنة والفيلولوجيا السلافية وعند اندلاع الحرب العالمية كان جاكسبون قد بلغ من عمره ثماني عشر سنة ، وأسس مع بعض الباحثين "نادي موسكو اللساني" الذي عقد أول جلسة له في مارس سنة 1915م ، وكان من مهام هذا النادي البحث في مجالات الشعر والتنظيم وعلم العمال والعروض وأسهم فيه ياكسبون بوضع النظريات الأدبية الحديثة.

وفي عام 1939م ، أدى الغزو النادي لتشيكوسلوفاكيا بجاكسبون إلى الهجرة إلى البلدان الأسكندنافية بسبب انتمائه العرفي إلى بني اسرائيل ، درس بجامعة كوبنهاغن وأوسلووأوسيال ، ونتجةللتهديدات النازية من هذه البلدان ، رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1941 ، ودرس بالمدرسة الحرة للدراسات العليا التي أسست بنيويورك كمواطنين الباحثين اللاجئين بأوروبا ما بين 1943م و1946م .

[1] أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص160.

وهناك كذلك لجاكسبون فضل كبير في تأسيس نادي نيويورك اللساني واستمر في التدريس بجامعة كولومبيا ما بين 1943م و1949م ، ثم انتقل بعدها إلى جامعة هارفرد ، ودرس هناك اللغة والأدب السلافيين من سنة 1957م إلى سنة ، وبعد هذه الفترة التحق بمعهد ماساتشوست التكنولوجي حيث قام بتدريس اللسانين العامة واللسانيات السلافية".[1]

مؤلفاته :

1- ملاحظات حول التطور الفونولوجي للروسية بالمقارنة مع اللّغات السلمية الأخرى.(أعمال نادي براغ اللساني ، 1929-118 صفحة).

2- مقدمة في تحليل الكلام : أخرجه بالإشتراك مع هال (halle) ، وفانت (fant) عام 1952 (طبعة معهد ماساتشوست التكنولوجي 64 صفحة).

3- مبادئ اللغة ، ظهر عام 1956م بالإشتراك مع هال (لاهاي موطون ، 87 صفحة).[2]

إن نشاطات ياكسون العلمة متنوعة للغاية ، وتعكس اهتمامات مدرسية براغ بوجه خاص ، وقد نقل هذه النشاطات والأفكار إلى الولايات المتحددة الأمريكية ، مّوليا اهتماما كبيرا بمفهوم الوظيفية (functionalism)، حيث أبدع في عدة مجالات منها : الفونولوجيا ، والأنثروبولوجيا ، نظرية الأدب والتطور اللّغوي عند الأطفال المعاقين وكذلك الفلكلور.

[1] أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص145 ، 146.

[2] أحمد مومن ، المرجع نفسه ، ص149.

لقد اشتهر ياكبسون في حقل اللسانيات بنظريته الفونولوجية التي تنص على وجود نظام سيكولوجي كلي (universal) منتظم وبسيط تشترك فيه جميع اللّغات البشرية ، وتؤكد على أن الإختلافات الموجودة بين مختلف الأصوات الكلامية ، ماهي إلا عبارة عن اختلافات سطحية لنظام تحتي ثابت ، ومن هذا المنطق هاجم ياكسبون دي سوسيروفرانتزبوغر على النسبية الفونولوجية التي ذهبا إليها ، وبين في كتابه "مقدمة في تحليل الكلام" ، أن ثمة نظاما فونولوجيا كليا ، يتضمن اثنتي عشرة سمة متميزة تتصف بها كل اللغات الإنسانية فمن بين هذه السمات : صائت / صامت ، مجهور/مهوس ، زفيري/شهيقي ، أنفي/شفهي ، غليظ/ حاد ، رخو/شديد ، مزيد/ غير مزيد ، مكثف/منفلس...إلخ ، وعلى خلاف اللسانيين الآخرين فإن ياكبسون انكب على تحليل الفونيمات إلى سمات الموكونة لها ، عوض النظر في كيفية توسيعها ضمن الوحدات المفرداتية المختلفة ، كما عني بالتحليل السمعي بالدرجة الأولى مستعملا آلات خاصة لتحليل الأصوات على شكل موجات صوتية.[1]

وكان ياكسبون من الّرواد في دراسة علم النفس اللّغوي بوجه عام ، ونمو الطفل العفوي بشكل خاص ، وساعده في هذت تخصصه في اللسانيات والصوتيات الوظيفية ، وقام بتطرق نتائج ما توصل إليه في هذين المجالين على طريقة اكتساب اللغة الأم ، وتعليل العوامل النفسية

[1] أحمد مومن ، المرجع السابق ، ص147 ، 148.

المؤثرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في عملية الإكتساب ، واستنتج في الأخير أن ثمة نظاما داخليا عاما يكتسب كل الأطفال لغتهم الأم وفق قوانين الكلية.[1]

وهكذا عني ياكسبون بدراسة الحبسة والأمراض اللغوية الأخرى ، وعلاقتها باكتساب عند الطفل ، وإذا كان بعض الباحثين قد كتبوا عن الحبسة مثل {omberdane(1951)،shenk (1953)}، وأكدوا على أهمية اللسانيات في فهم الدراسات المتعلقة بهذا الأذى ، فإن ياكسبون هو الذي ألحّ على وجوب دراسة الحبسة من زوايا متعددة ، لا من قبل لسانيين فحسب بل من قبل أخصائيين في الأمراض العقلية ، والعصبية ، والنفسية.[2]

المبحث الثاني : التعريف بالعلامة عبد الرحمن الحاج الصالح

يعد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح باحثا لسانيا ذاع صيته في الجزائي والوطن العربي ، له اطلاع واسع على ما صُنف في الفكر اللغوي عند العرب وعند الغربيين إذ يحتل مكانة مرموقة عند طلابه في الجزائر وفي المشرق العربي[3]، وقد ولد بمدينة وهران بالجزائر سنة 1927م درس في مصر وبوردو وباريس ، وتحصل على التبريز في باريس ، وعلى دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة السربون عام 1979م والتي كان عنوانها « linguistique orale et linguistique

[1] المصدر نفسه ، ص149.

[2] أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص149.

[3] منصوري ميلود ، الفكر اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات ، مجلة العلوم الانسانية ، العدد الثامن ، جامعة

génerale : essai de méthodologie et depistémologie du ilmal-arrabiyya »[1]

وعمل استنادا بجامعة الرباط بالمملكة المغربية سنة 1961م إلى سنة 1962م وبعد ذلك صار مديرا لمعهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر ثم مديرا لمركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية ، قبل أن يعينه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية سنة 2000م وكان رحمه الله عضوا في المجامع العربية الآتية : دمشق ، بغداد ، عمان ، القاهرة ، وأشرف على مشروع "الذخيرة العربية" الذي هدف من خلاله انجاز بنك آلي للغة الفصحى يحفظ للعربية مفرداتها.[2]

لكن تشاء الأقدار أن ينتقل إلى جوار ربه يوم 05 مارس 2017 بمستشفى عين النعجة في الجزائر العاصمة عن عمر ناهز التسعين عاما وقد نعاه الرئيس الراحل عبد العزيز بوتفليقة في (مسألته) رسالته أثنى فيها على الرجل واعتبره قامة علمية في علوم اللغة واللسانيات.

كما يعد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من أهم أعلام الدرس اللساني العربي الحديث على مدار نصف قرن من حياته ، حيث اجتهد في التعريف بجهود النحاة العرب الأوائل تعلق شديد واعجاب بها ، مدافعا عن أصالة فكرهم وتبرئته من تهمة المنطق الأرسطي ، خاصة في القرون الأولى من الهجرة ، ليمزج في فكرة بين عبق الأصالة وجديد الحراثة .

[1] المرجع نفسه ، ص253.

[2] الشريف بوشحدان ، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العامية في ترقية اللغة العربية ، مجلة كلية الأدب والعلوم الانسانية والاجتماعية ، بسكرة ، الجزائر ، العدد السابق ، جوان 2009 ، ص44.

أسهم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في اعداد المعاجم العربية عن طريق وضع خطط لتنويعها وتوسيع مجالات استعمالها بما يتماشى مع متطلبات العصر ، وحاجات الدارسين والمتعلمين لها إذا قام رحمه الله مع مجموعة من الباحثين بوضع المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات وهو معجم : عربي ، انجليزي ، فرنسي نتيجة لتعاون مثمر بين معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر ، حيث تم بمقره عقد ندوة لدراسة المشروع 1983/11/28 – 1983/12/02 ، وقد الحقت بالمشروع مجموعة من المصطلحات من قبل أساتذة مختصين منهم : عبد الرحمن الحاج صالح ، سعيد عبد العزيز مصلوح ، عبد اللطيف عبيد ، الجيلالي السايب وغيرهم.[1]

المبحث الثالث :أهم مصنفات عبد الرحمن الحاج الصالح

لقد تحدث عبد الرحمن حاج صالح في كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية عن قضايا الترجمة والمصطلح التي من بينها : مشروع الذخيرة اللغوية العربية ، فهو بحث لغوي في ذاكرة الأمة وترصد للألفاظ والمصطلحات كثيرة الإستعمال في المؤلفات العلمية أو المتداولة بين أفراد المجتمع الناطقين باللغة العربية قديما وحديثا وهي فكرة "عبد الرحمن الحاج صالح" على ما يبدو حيث قال : "لي الشرف أن عرضت هذا المشروع على مؤتمر التعريب الذي انعقد بعمان في

[1] المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المعجم المود لمصطلحات اللسانيات (انجليزي ، فرنسي ، عربي) مكتب تنسيق التعريب ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، م ، ص11.

1980م"،[1] ومن هنا جاءت بوادر الفكرة التي تتوقف على الرجوع إلى الإستعمال الحقيقي للغة العربية واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية واشتراك أكبر عدد من المؤلفات العلمية لإنجاز المشروع وكانت أولى المشاورات بالجزائر بين باحثين لغويين أكفاء ثم عرض المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للثقافة والعلوم في ديسمبر 1988م ، حيث عملت هذه الأخيرة الإستعانة بالمجامع اللغوية ووزارات التربية والتعليم من أجل إبداء رأيها وإعطاء حلول للبدء في هذا المشروع ، وفعلا انطلق هذا المشروع بعد اتخاذ القرارات اللازمة مع وزراء المؤسسات العلمية العربية ، وكانت الجزائر أول دولة عربية تتبنى هذا المشروع ، وبعد انعقاد دورة تأسيسية بمجمع اللغة العربية يومي 26-27 ديسمبر 2001م ، بالرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية ، فالمقصود من هذا البحث هو التحديد الدقيق لمفهوم الذخيرة وأهدافه العلمية وفوائده والتخطيط لتحديد العصور والأقاليم والميادين وكذلك المنهجية الخاصة بمتابعة العمل مع مهندسين وخبراء أكفاء.[2]

السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة :

إن هذا الكتاب يستكشف مفهوم لفصاحته في اللغة العربية وكيفية تطورها عبر التاريخ بصفة عام بحيث تطرق عبد الرحمن الحاج صالح إلى الحديث عن السماع اللغوي لمحتوى المسموع وخصائصه، بحيث عرف السماع هو مشاهدة لا للكلام فقط بل لكل ما يجر في التخاطب من كلام وحركات وإيماء وكل ما يوجد من القرائن في حال الحديث حيث اعتمد في تعريفه للسماع

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، د.ط ، 2007 ، الجزء 1 ، ص395، 396

[2] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، 396.

على تعريف سيبويه له ويشير الحاج صالح من جهة أخرى إلى أن القبائل العربية التي أخذت عنها هذه المدونة (المسموع) غطت شبه الجزيرة العربية التي اخذت كلها في الجاهلية[1]مستثنيا منها أقصى اليمن حيث بقيت فيه لهجات سامية قديمة وأقاصي الشام ثم تخلصت روعة الفصاحة تدريجيا بسبب اختلاط العرب بالأعاجم وتفشي للحن وفساد الألسنة[2] مما أدى إلى اختلال النظام اللغوي للعربية ويشير عبد الرحمن الحاج صالح أيضا إلى أول من استقرئ النص القرآني لإستخراج الثوابت اللغوية الخاصة بإعرابه وهو أبو الأسود الدؤلي من جاء بعده من النحاة منهم أبو عمر وبن العلاء وقد نوه الحاج صالح بإستكماله ما بدأ به الأولون من السماع والتوسع فيه بالرجوع إلى كلام العرب مستجيبا في ذلك لدعوة ابن عباس إلى الإعتماد عل التعسر لتفسير معاني القرآن الكريم حيث يحصر الحاج صالح محتوى المسموع في نوعين من النصوص إنها لم تأخذ من مصدرها الأصلي أي من افواه القائلين بها أول مرة وذلك لبدء السماع والمشافهة بعد زمن من صدورها ما اضطر العلماء واللغويين إلى سماعها عمن تناقلوها جيات بعد جيل ويدخل ضمن هذا النوع من النصوص النص القرآني من خلال القراءات المتوازنة المنقولة عن الصحابة والتابعين والأئمة المعترف بهم والنص القرآني في شكله الأصلي اخذ من مصحف عثمان وفيه اختلافات يسيرة مع ما توارثه العلماء من قراءات المصحف ، أما النوع الثاني فتمثل في الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين الذي توارثه فصحاء العرب ولهذا النوع لا يعرف الشكل الأصلي الذي اخذ منه غالبا خاصة إذا حصل

[1]عبد الرحمن الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، د.ط ، 2007 ، ص151.

[2]المصدر نفسه ، ص252.

الاختلاف في الروايات وهذا الاختلاف لا يؤدي للتغير الجذري في الشكل الأصلي إلا نادرا حسب ما أقره الحاج صالح ، أما القسم الثاني من محتوى المسموع عند الحاج صالح ، تمثل في النصوص الحرة العفوية ويعرفها بقوله هي نصوص سمعها اللغويون من أصحابها مباشرة فليس بكلام محفوظ ومنقول حفظه الناس من غيرهم الشعر والكثير من القصائد التي سمعت ودّونت منذ بداية عصر التدوين.

يرى عبد الرحمن الحاج صالح المبادئ التي قام عيلها السماع عند العلما القدامى فمعاصرة سيبويه والنحاة الذين قبله لزمن الفصاحة السليقية[1]بني سماعهم لمعطيات اللغة على أسس عملية مغايرة للمبادئ التي بني عليها سماع وتدوين الحديث ومختلف القضايا اللغوية الأخرى وتلخصت مبادئ السماع لدى القدماء حسب الحاج صالح في ثلاث نقاط رئيسية تمثلت في الثبوت ويقصد به ثبوت فصاحته المسموع أي المنقول وذلك بثبوت فصاحة سامعه أو ناقله والتحقق أي امكانية التحقق لصحة ما ينقل والتوثيق بمعنى توثيق المسموع وتدوين فيكون هذا السماع مرجعا علميا إذا تحققت فيه هذه الشروط أو المبادئ ويؤكد الحاج صالح أن العلماء الذين اهتموا بجمع اللغة وضبطها عملوا على ثبات فصاحة المنقول عنهم فإن ثبتت فصاحة هؤلاء بإجماع العلماء الذين لا شك في قصاحتهم وصدقهم عندما اخذ عنهم مرجعا علميا بستشهد به ويعود الحاج صالح للحديث مرة أخر عن الفرق بين سماع النحاة وسماع المحدثين فالفرق يكمن في الاسناد إلى الناقل عنه إذ يهتم المحدثون بمعرفة المصدر الأول أو المخبر الأول عن المادة المنقولة أما المبدأ الثاني الذي

[1]عبد الرحمن الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة ، ص252.

انبنى عليه السماع اللغوي هو امكانية التحقق لصحة ما ينقل وهذا المبدأ انبنت عليه أيضا العلوم عند المحدثين أن يمثل الصفة العلمية الأساسية لكل منقول ثم نمضي لعرض ثالث والمتمثل في مبدأ توثيق المسموع وتدوينه وقد نبّه الحاج صالح ما كتب ودُوّن قبل زمن سيبويه كان محظورا ممنوعا الاخذ به فالذي نقل العلماء من الاخذ عن تلك الصحف هو أن جميع ما صدر قبل نهاية القرن الثاني لم يكن موثقا علميا ويعتبر الحاج صالح أن وجود اللفظ والشكل في اقدم العصور دليلا قاطعا على توثيق العلماء المعطيات المسموعة ويخلص الحاج صالح إلى الاقرار ببقاء الافضلية للسماع في توثيق المنقول دون كتابة واعتماده المصدر لما نقل وضرب مثالا بكتاب سيبويه.[1]

[1] عبد الرحمن الحاج صاح ، السماع اللغوي ومفهوم الفصاحة ، ص253.

الفصل الثاني :الجهود اللسانية لعبد الرحمن الحاج الصالح

المبحث الأول : أهم ما جاء به عبد الرحمن الحاج الصالح في كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، الجزء الثاني.

ومن أهم القضايا التي عالجها عبد الرحمن الحاج صالح بعض النظريات اللسانية الحديثة منها النزعة البنيوية حيث أن مفهوم البنية ، تشير إل أي ظاهرة انسانية كانت أم أدبية والتي يمكن دراستها من خلال تحليلها إلى العناصر المكونة لها بدون الأخذ في الاعتبار عوامل خارجية مثل حياة ومشاعر الكاتب وهي مذهب من المذاهب التي سيطرت على المعرفة الانسانية في الفكر الغربي فأول من دعا إلى الإهتمام بدراستها هو ، كما رأينا فرديناند دي سوسي أما الذين اتبعوه الذيم كونوا حلقة براغ اللغوية المشهورة وقد تابعتها في ذلك المدرسة الوظيفية الفرنسية بزعامة اندري مارتيني والمدرسة الدانماركية بزعامة اللغوب لويس يمسليف.[1]

وبعض النظريات التي تطرق إليها أيضا النزعة البنيوية يحيلنا مباشرة إلى مدرسة براغ تأسست سنة 1928م بعد انعقاد أول مؤتمر دولي للسانيات بلاهاي وهو المؤتمر الذي ظهرت في رحابه الفونولوجيا المعاصرة ومن أهم روادها : نيكولاي تروباتزكوي(Nicolas trunetzkoy) ، رومان ياكبسون (R.Jakobson) ، وكريسزوسكي(Kruszeuski) ومن أولويا هذه المدرسة الاهتمام بالصوتيات أو الفونولوجيا الوظيفية [2]، وقد حرر ياكبسون مجموعة من المبادئ لدراسة أصوات اللغة ووقع عليها رفيقا وسمو العلم الجديد بالفنولوجية تمييزا له عن الفونتيك وهذه التسمية

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص140.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص240.

الأخيرة هي التسمية التي اشتهرت قبل ذلك للدلالة على علم الأصوات اللغوبة وسنرى بالتفصيل بماذا امتزت الفونولوجبة عن هذا العلم ، ومن بين المبادئ التي اقترحت في مؤتمر لاهاي.

الاقتراح 22 " إن الوصف العلمي للأصوات الخاصة بلغة من اللغات يجب أن يشم قبل كل شيء ، الميزة التي يمتازها نظامها الفونولوجي أي المجموعة الخاصة بهذه اللغة من الميزات التي تتمايز بها الصورة الحركية الصوتية[1] فيها مما لها دور في التمييز بين المعاني".

" والذي نرجوه هو أن يحصل تحديد أكثر دقة لأنواع هذه الميزات ، ومن المفيد أن ينظر إلى السلاسل المتناسبة الفونولوجية (corrélations phonologique) كفئة قائمة برأسها من التمايز ، فالمتناسبة تتكون من سلسلة من المتقابلات الزوجية تشترك في ميزة واحدة يمكن أن ينظر إليها بمعزل عن كل زوج من الوحدات المتقابل".

ويواصل المحررون لهدا النص قائلين : "وهناك نوعان أساسيان من التمايز وهما : التمايز بين الصورة المنفصلة والتمايز بين الصورة المتناسبة ، فإن شعر الناطقون بوجود تناسب بين الصور فليس ذلك إلا لوجود سلسلة من المتقابلات الزوجية من نفس الطراز ، وفي هذا الحال يستطيع الشعور اللغوي أن يجرد الحد الثالث (حد المفاضلة) للأزواج المحسوسة.

ففيما يخص النظام الفونولوجي الروسي فيه المتناسبات الآتية : الصوامت المجهورة ، الصوامت المهموسة ، الصوامت البينية ، الصوامت الجامدة ، والمصوتات ذات النبر الحركي ، المصوتات بدون

[1] المصدر نفسه ، ص241.

نبر" ، في حين يرى علماء اللغة أن فكرة الفونيم لم تكن يوما فكرة حديثة بل هي فكرة قديمة جدا قدم نشأة اللغة (ان فكرة الفونيم) حيث أن الدراسات الحديثة كانت داعمة لهذا الفكرة وقدمت عليهاالأدلة فالفونيم هو أصغر وحدة صوتية تؤدي إلى تغير في المعنى مثل كلمة قلب فإن حرف (ق) يعد فونيما ليس له معنى في ذاته وإذا استبدلنا الكاف بالقاف تغير معنى الكلمة إلى كلب[1] وأول من دعا إلى تحديد الفونيم بالوظيفة التي وضع من أجلها وهي التمييز هو ترتبسكوي ، قال : إن الفونيم هو وحدة وظيفية قبل كل شيء[2] فإن كل نظام صوتي في أي لغة يتكون من وحدات صوتية تحدد هويتها بمجموعة من المميزات تلك التي تساهم وحدها أو مع غيرها في التمييز بين معاني الكلام فمقصودهم من هذا القول هو دور الفونيم الأساسي مهم جدا عندهم وكان ذلك رد فعل على التخليط الذي كان سائدا عند اللغويين التاريخيين بين الحرف ومختلف وجوه تأديبية ، وقسموا هذه الوجوه في الآداء إلى تنوع حر (variante libre) وتنوع تركيبي (v. combinatoire) وينقسم التنوع الحر إلى تنوع لهجي وتنوع فردي أما التنوع اللهجي فهو اللغات (من حيث النطق) عند علمائنا والتنوع الفردي فهو إما أسلوبي (stylistique) وإما انحراف خاص بالأفراد وهو اللغة عندالعرب قديما كل هذا ما يخص ماهية الفونيم بالنسبة للمحور الاستبدالي (paradigmatique) أما في المحور الأفقي أي المحور التركيبي

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص242.

[2] المصدر نفسه ، ص242.

(axesyntagmatique) فهو عندهم : "أصغر وحدة صوتية ينتهي إليها التحليل"، فتروباتزكوي وضع قواعد تتعلق بالفونيم لتمييز بين الوحدات الفونيمية.[1]

القاعدة الأولى : إذا تبادل صوتان في لغة ما ولم ينتج عن هذا التبادل تغيير في معنى الكلمى فهما صوتان اختياريان لفونيم واحد مثل صوت الجيم الذي له صورة نطقية مختلفة تحمل المعنى مثل قوله تعالى "حتى يلك الكمل في سم الخياط أي يلج الجمل فالمعنى لم يتغير.

القاعدة الثانية : إذا تبادل صوتان في لغة ما ونتج عن هذا التبادل تغيير في معنى الكلمة (فهمها) فهما صورتان واقعيتان لفونيمين مختلفين مثل : قام – دام – لام فإذا ما حلت (القاف) مكان (اللام أو (الدال) والعكس حدث تغيير في الدلالة.

القاعدة الثالثة : إذا كان صوتان في لغة ما بينهما علاقة أو كستيكية أو نطقية ولا يمكن أن يقعا في البيئة الصوتية نفسها فإنهما صورتان تركيبيتان للفونيم نفسه ويذكر بعد ذلك.

القاعدة أربعة : تخص الأصوات التي لا تقع أبدا في سياق واحد ولكنها قد يجاوز أحدهما الآخر فلا يمكن أن يعتبر هذا بدلا من ذلك اطلاقا وقد سمو الصفات المميزة لكل حرف (distinctives features) أو traits pertinents وكل ماهوrelevant أو pertinent فيطلق عندهم على المميزات المتعبرة في التحليل أي التي لها وظيفة التمييز بين المعاني ولهذا يقال لها أيضا fonctionnel "وظيفي" بهذا المعنى ليس غير وكروسنفسكي هو

[1]عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص245.

أول من دعا إلى التمييز بين دراسة الأصوات اللغوية في ذاتها الفيسسولوجي والفيزيائي وبين وظائف هذه الأصوات بالمعنى الذي سبق أن حددناه[1] واختاروا لفظة phonetique أو phonetics بالإنكليزية لدراسة الأصوات اللغوية من حيث كيفية حدوثها في المخارج ومن حيث كونها ظواهر اهتزازية لها قوانينها مثل كل الأصوات ومن حيث أنها ظواهر تخص السمع واطلقوا لفظة phonologie لحلقة براغ phonemics عند الأمريكيين ، على دراسة الأصوات اللغوية لا كأصوات بل كوحدات لغوية لها تلك الوظيفة التمييزية ، يقول تروباتزكوي بهذا الصدد "ولهذا ينبغي أن ننشئ لا علما واحدا لأصوات اللغة بل علمين يكون موضوع الأول فعل الكلام وموضوع الآخر للغة فكما أن موضوع كل منهما مختلف عن الآخر ، فكذلك يجب أن يلجأ في كل منهما إلى مناهج للعمل العلمي تختلف كل الإختلاف : فإن علم أصوات الكلام المنطوق بما أنه يعالج ظواهر طبيعية ملموسة فيجب أن يلجأ إلى مناهد العلوم الطبيعية ، أما علم أصوات اللغة فإنه يجب أن يلجأ إلى مناهج لغوية محضة ونفسانية واجتماعية" ولقد بين تروباتركوي إن المتقابلات من الحروف قد يكون في بعضها نوع من الخفاء إذ لا تظهر الميزة لأول وهلة ، وليست كذلك المتقابلات ذات الطرفين كـ : P و B (لا يوجد في الفرنسية مثلا من الشفوية الشديدة غير الغناء إلا هذان الحرفان لأنهما يشتركان في صفات لا توجد في غيرهما فالميزة فيهما : جهرا همس ظاهرة جدا فإذا تكررت هذه الصفة في المتقابلات المتناسبة كانت أكثر ظهورا ، أما التقابل المانع فأوضح لأنه تقابل بوجود شيء واحد وعدم وجود B/P هو أيضا تقابل مانع لأن

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص245.

هذين الحرفين لا يتميزان إلا بوجود صفة وعدمها) وليس الأمر كذلك بالنسبة للتقابل المسمى عند العربيين بالمنفصل أو المتعادل إذ لا يوجد بين المتقابلين إلا القليل من الصفات المشتركة كالعين والباء في العربية لكونهما حروف جوامد فقط وكذلك هو التقابل غير القابل للإلغاء لأنه يقتضي أن تكون الحروف المتقابلة متقاربة جدا [1]، ويترتب على ذلك أن المتقابلات ذات الطرفين المتناسبة المانعة والقابلة للإلغاء هي التي يتضح فيها التفاضل والتقارب بين الحروف وبالتالي النظام التي تنتظم فيه ، وهذا بخلاف المتقابلات المتعددة الأطراف المنفردة ومن ثم غير القابلة للإلغاء(المتقابلات ذات الطرفين هي وحدها قابلة للإلغاء) فلا يظهر فيها بوضوح الانتظام المبني على التفاضل والتقارب انقد لا تشترك إلا في صفة واحدة عامة مثل كونها من المصوتات أو من الصوامت .

فيما بعد تطرق إلى مفهوم الإقتصاد في النظام الصوتي في المنظور الستكروني حيث أن الوحدات الصوتية كما هو معروف محصورة ومعدودة بخلاف الكلمات التي هي نتيجة التراكيب هذه الوحدات فهي كثيرة جدا وعددها قابل للزيادة فهذا يحصل منه اقتصاد عظيم جدا في التعبير عن الأغراض ، وقد أجاب الوظيفيون كل واحد بأن المخارج وهي أقل عدد من الحروف قد يخرج في كل واحد منها أكثر من حرف ويتميز كل منها بصفات أخرى غير المخرج وهي الشدة والرخاوة واللين والجمود والجهر والهمس والتفخيم والترقيق كما هو الشأن في العربية ، وهذا مفهوم

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص256

الاقتصاد أي الاكتفاء بالقليل من العمليات المحدثة للحروف مع امكانية تغطية كل حاجات التعبير.[1]

فالسر في قلة المؤونة وتكاليف التعبير (بالقياس إلى عظمة الافادة) يمكن ، كما رأينا في كيفية اشتراك الصفات المميزة في كل حرف ، والشرط في ذلك هو أن لا تعارض صفة الصفات الأخرى ، يقول مارتيني : "إن عدد العمليات اللفظية البسيطة التي لا يمكن أن تلتبس بعضها ببعض في نظام صوتي قليل ، ويمكن أن يزداد عددها بتركيبها بعضها في بعض وخاصة التي تقبل التركيب ... إد لم تمانع العمليات الاخرى ، وذلك مثل اهتزازات الأوتار الصوتية فإنها لا تعارض أبدا حركات الشفتين أو حركات اللسان ولا يمنع الصوت الذي يحدث هذا الاهتزاز ادراك السامع لاحتكاك الحروف الرخوة" ويقول : "فالمتقابلات المتناسبة هي من بين المتقابلات التي بها يزيد عدد الحروف في لغة ما دون أن يتزايد بنفس النسبة عدد العمليات التلفظية التي يجب أن تبقى متميزة" وذلك بين جذا لأن التناسب يجمل الفارق (وهو ناتج عن عملية تلفظية بسيطة مثل الجهر أو التفخيم وغير ذاك) ويقول أيضا "إن للمتناسبات مساهمة في ابقاء النظام على ماهو علية ، وذلك لأنها يتقلل بها عدد عمليات التلفظ ... فتكون أبين ، ومن جهة أخرى بكثرة دورانهذه العمليات في الكلام (لقلة عددها) يكون للناطقين بها أكثر من فرصة لإدراكها واحداثها ، أما الفونيمات غير المنسجمة المنفردة في النظام فتكون أكثر عرضة للزوال".[2]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص256 ، 257.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص258.

فأحسن الأنظمة الصوتية هي نظريا التي تكون وحداتها مندمجة أي داخلة في متناسبات اوخرم ، فيم أن المتناسبات والخرم هي التي تساهم على بقاء النظام على ما هو عليه أن تناسب اجزائها هو عين الانسجام اللغوي (اطراد الفوارق في عدة حروف) فالحروف المندمجة هي النظام بهذا المعنى (intégration au système) هي أكثر الحروف مناعة بالنسبة إلى التحول الزماني أما عمليا فليست كل أنواع التراكيب التلفظية ذات قيمة واحدة فأوفى الأنظمة انسجاما ليست بالضرورة أكثرها خفة ولا أكثرها استقرار عبر الزمان ، وإن اتساع المتناسبات والحزم لا يحصل منه ضرورة اقتصاد إلا إذا كان التلفظ المركب الناتج عنها يسهل تحصيله وادراكه.

وفي الاخير نستنتج أن الفونيم لم يتطرق إليه علماء العرب وذلك لأسباب تاريخية فالإطالة فيه كان في الحقيقة رد فعل على التاريخيين الغربيين والفونيم في مقابل تنوعاته فهو اسم حرف (كحرف الجيم مثلا) وذلكلأن الاسم العام يدل في الوضع على أمة كما يقول سيبويه أي على جنس لا على فرد معين فأما ما يحصل بالفعل من صوت فهو المخرج كمصدر لا كاسم مكان فهو بهذا المعنى مصدر للخروج بمعنى للحدوث والتحصيل واخراج الحرف عنهم هو احداثه أما علماءاللغة (الوظيفيين) ألحوا على التمييز بين مفهوم الوحدة الصوتية ، والفونيموت أدياتها المختلفة من جهة وكانوا مشغولين البال بوصف الضوابط التي تضبط النطق الخاص بأكبر عدد من العرب الفصحاء لايناء فلسفة حول الحرف.[1]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص264.

ومن خلال النظام الصوتي العربي الذي جاء به الخليل وسيبويه من الأوصاف والتصنيف للحروف العربية الذي يتكون من مدخلين المخارج والصفات أما المخارج فالمقصود بها هو مكان حدوث الحرف في القناة الصوتية أما الصفات فهي الكيفيات التي تتمي بها الحروف في داخل كل مخرج ويسميها الرماني فصولا لأنها تفضل بين الحروف التي يخرج من مخرج واحد حيث يمتاز اللغويون العرب عن المحدثين بجعلهم هذه الفصول متفرغة بالتدريج الأكثر انفتاحا إلى أقله أو عدمه ، وهذا قد عرفه سوسير ولكن الفرق الأساسي هنا أن التفريع يقع عند العرف بالزيادة من افتح الحروف إلى غلقها ووفقوا في التمييز بين الحركة وصوت الحركة من جهة وبين هذا الصوت وامتداده من جهة أخرى لأنهم لا خطوات الحركة قد تكون بلا صوت وهو المختلس أو المخفى كما تفطنوا إلى أن المدة هي حرف قائم بنفسه لغويا (هي علامة) وإن غير مستقل لفظيا (لا يمكن أن ينطق به بدون حركة قبله)، أما الحروف البينية فهي بين الشديدة والرخوة ، وعجب بعد المحدثين من وضع العرب العين في هذا الفصل فهي نتيجة عن انقباض وانبساط لوسط الحلق أما الطاء فكانت مجهورة فزاحمتها الضاد ان صارت دالا مفخمة (في قراءة القرآن حاليا وفي النطق الفصيح اليوم وهي غير التي وصفها سيبويه فصارت الطاء مهموسة وهي خانة فارغة في نظام الفصحى القديم ، أما الجيم فوصفها سيبويه بالشدة وجعلها مقابل الشين التي هي رخوة فهذا يدل على أن شدّتها لم تكن مثل شدّة الجيم في شمال مصر (G) ونكر سيبويه هذا الحرف عند نكره الجيم التي كالكاف فليست هي الجيم الأولى وكل هذا يؤكد افتراض القائل بأنها كانت شديدة في بدايتها مثل الجيم المعطشة اليوم.

المبحث الثاني : أهم ماجاء في كتاب سلسلة الخطاب والتخاطب لعبد الرحمن الحاج صالح

إن هذا الكتاب يهدف إلى توضيح المفاهيم العلمية التي تخص الكلام كحدث في مقابل اللغة كنظام في إطار نظرية الوضع والاستعمال وبصفة خاصة ما يتعلق بالخطاب وظواهر التخاطب وأوصافه وأصوله.

لقد تطرق عبد الرحمن الحاج صالح في الفصل الأول من الباب السادس إلى ثنائيتين وهما ثنائية اللغة والكلام عند العرب وثنائية اللغة عند دي سوسير وغيره ، حيث وصف اللغة بأنها تشبه الحد البعيد ما يسميه دي سوسير باللغة (langue) وهو يحددها بأنها نظام من الأدلة (système de signes) متواضع عليها فيي مجتمع جعل في مقابل اللغة والكلام وهو استعمال لهذا النظام ونظام الأدلة هو مواضعة (كود) ، واللفة كنظام صورة والكلام مادة لها ، وأساس هذا النظام هو الاختلاف والتباين بين العناصر ، وقد فسّر النظام في هذه النظرة هو تباين الهوية ، إلا أن هذا النظام المبني كله على الصفات المميزة ، أما الكلام عند سوسير فقد لا دقة في موضوع الدراسة المسماة باللسانيات لأنه فردي مع أنه ليس كله مرتجلا ، بل فيه جانب اجتماعي يشترك فيه كل المتكلمين إلا أنه ليس هو اللغة.[1]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، سلسلة الخطاب والتخاطب في نظرية الوقع والاستعمال ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، د.ط ، ص201.

أما مفهوم الوضع والتواضع عند العرب أنه نفس التواضع عند العرب أنه نفس التواضع الذي تكلم عنه سوسير ، وهو اصطلاح التخاطب ، فقد لاحظ أن النحاة الأولين لا يلتفتون إلى الجانب الذهني (التصّوري) للمعنى ، فاللفظ يدل على المسمى مباشرة مهما كان.

أما الكلام والخطاب فاهتمام العلماء العرب به كبير جدا خلافا لسوسير وربما لم يماثله إطلاقا ما قالته الأمم الأخرى في شأنه ، ثم عرض علينا أهم الفوارق التي توجد بين سوسير والعلماء العرب وهي تكمن في الرؤية إلى الأساس الذي بني عليه وضع اللغة ، فالنظرة السويسرية تؤكد على الجانب التباييني لأدلة اللغة ، ثم هناك فرق آخر كبير جدا وهو جعل دي سوسير النظام اللغوي ينحصر كله في الأدلة (الكلم) أما العرب فلا يحصرونه في الأدلة وبالإكتفاء ، كما فعل دي سوسير بمقياس الصفات الذاتية بل يتجاوزون ذلك إلى البنية أيّ ما كان مستوى اللغة.[1]

فيضيف صاحب الكتاب رؤيته الخاصة بأن فضل دي سوسير جدير بالثناء في غير هذا لأنه أّول منبّه في أوروبا على أن اللغة كوضع ونظام غير الكلام الذي هو استعمال لها ولكلا الجانبيين خصوصياته ، فهذا لم يفكر فيه اللغويين التاريخيين إلا القليل منهم ، وفّرق بين اللغة كظاهرة من الظواهر الاجتماعية وبين النحو التقريري فالجانب يقتضي أن نصف اللغة كما هي لا كما نريدها أن تكون ، وأكّد أيضا على دور القياس النحوي المسمى عندهم بال : Analogie وهذا

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، سلسلة الخطاب والتخاطب ، ص202.

الفصل من كتابه لم يهتم به أتباعه إطلاقا ربما لأنه يمثل جزءً ا معروفا جدا مما اهتم به اللغويين التاريخيون.[1]

أما العلوم العربية فإن الاهتمام بهذا الجانب التبايني موجود فيها، فكلمة بيان هي بنفسها دليل على ذلك : فمعناها الأول هو الوظيفة الأساسية للغة أي الفهم والإفهام وجميع وسائل الإتصال هي كذلك ، إلا أن العرب تجاوزوا مفهوم الوظيفة البيانية البسيطة وهي مبنية على الوظيفة التمييزية للصفات التي جعلها الوظيفيون الميزة الأساسية للغات ، وفيما يخص وضع اللغة فإنهم أثبتوا له جانبا كبيرا من بني لا على التباين البسيط الذي هو التباين بالصفات بل التباين بالتراكيب والأبنية.[2]

ولاحظ عبد الرحمن الحاج صالح أيضا أن دي سوسير تردّد في جعل الجملة موضوعا يدخل في دراسة اللغة (!) فقد صّرح أنه ليس متيّقنا بأنها من ميدان الكلام أي الإستعمال ، وقد كان يميل أن يجعلها من ظواهر النحو ولم يتفطن إلى أنّ بنيتها خاضعة لوضع اللغة بدلالتها على معان وأن استعمال هذه البنية أي اختيارها من بين البُنى و"الإتساع" فيما إلى الخطاب.[3]

وقد أضاف صاحب الكتاب أنه يوجد من أتباع سوسير من تميز بنظريته الخاصة وذلك بإضافة وسط في ثنائية سوسير (لغة/كلام) نذكر منهم لويس يلمسليف(L.H Jelmslev) اللساني الدانماركي المشهور صاحب النزعة المسماة بالكلوسيماتيكا ، فقد أخذ من سوسير مفهوم

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، سلسلة الخطاب والتخاطب ، ص203

[2] المصدر نفسه ، ص204.

[3] المصدر نفسه ، ص204.

اللغة كنظام من المتقابلات وانفرد عنه وعن غيره في جعله نظام من العلاقات المنطقية مجرد اتماما من محتواه المادي زاعما أن اللغة كنظام ليست إلا هذه المجموعة المنسجمة من العلاقات المجردة ، وقد بنى يلمسليف نظرية على أن اللغة مادة وصورة مثل سوسير إلا أن فصّل ذلك فقال بأن لكل من اللفظ الدال والمعنى المدلول مادة وصورة ، فالصورة عنده هي مجموع العلاقات التي ذكرناها وليست عنده مبنية على الصفات المميزة كما عند سوسير ، والمادة هو ما يملأ هذه العلاقات مثل ما تحتوي عليه جملة الفعل وفاعله أو المبتدأ وخبره (وهي ههنا علاقة تلازم أو الصفة والموصوف وهي علاقة لزوم من جانب واحد).[1]

وزاد اللساني كوسيريو(cpseriu) من أمريكا اللاتينية هو أيضا المعيار على الثنائية (لغة/كلام) إلا أنه فارق يلمسليف في إبقائه النظام (من المتقابلات) كما كان (فلا يسميه معياراكيلمسليف) ، ثم يقسم "كلام" دي سوسير إلى "معيار" وهو عنده الصفات غير الصفات غير المميزة لكنها واجبة (عند الناطقين) لأن المجتمع الناطق يفرضها وإلى الاستعمال وهو كل الصفات الأخرى العارضة ، وفي الجزء الثاني تحدث عبد الرحمن حاج صالح عن تبني اللسانيين البنيويين لمفهوم نظام المتقابلات وبناء كل التحليل على الصفات المميزة فقط ، فيرى أن التبيان بين الوحدات هو جوهر الوضع اللغوي عند سوسير واللغويين الروس الذين عاصرهم ككروزفسكي(kruzevvski) خاصة وكل من جاء بعدهم لا يتحقق عندهم إلا بالصفات المميزة التي تتصف بها كل واحدة منها وتميّزها عن غيرها ، وهذا ينطبق جيدا على النظام الصوتي

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، سلسلة الخطاب والتخاطب ، ص204.

للغات : فالنون العربية عندهم تختلف عن الميم في المخرج فهي من النطح والأخرى من الشفتين ، وتختلف عن التاء في أنها غناء(فيهاا صدى من الخياشيم) مثل الميم بالنسبة إلى الباء ، ثم لا كلام عن الصفات بدون كلام عن أجناس ، فالجنس أو الصفة هو ما يشترك فيه أفراده في صفة واحدة على الأقل ، فأعطانا مثال على ذلك : كل حرف شفوي يشاركه غيره في صفة الشفوية فيكون معه جنسا أي فئة معينة ، ثم يخالف كل حرف في داخل هذه الفئة غيرها مثل الفاء التي هي من الشفة السفلى والثنايا العليا تخالف كل حرف شفوي مما ليس له هذه الصفة وهي التي من الشفتين . وبعدها عرض علينا انتقاد العلماء على هذه الصفات المميزة وما يترتب عنها من الاقتصار السيء على نوع واحدة من العلاقات هي اندراج الشيء في الشيء وترك العلاقات غير الإندراجية مثل حمل الشيء على نظيره.[1]

ونجد الحاج صالح يشير إلى ظاهرة اللزوم والتلازم عند يلمسليف وما أضافه كل من يلمسليفوكوسيريو من وسط مع اختلافها الجذري ، فإنه يختلف عن رؤية العلماء العرب وأن أقرب مفهوم إلى ما يسمى الإستعمال عند العرب هو البركماتيك الغربي ، كما سنراه ، إذ قوبل بالنحو والدلالة ومجموعها كأنه هو الوضع عند العرب مع فوارق جوهرية في الرؤية.

وفي الأخير أكّد الحاج صالح على حدوث أمر خطير جدا ألا وهو إقدام أتباع سوسير أو حلقة براغ على تسمية نظام التقابل السوسوري بنية (structure) بعد اختفائه ، وهذا لم يقدم عليه سوسير نفسه ، فهو لا يسّمى "بنية" إلا ما نتج عن تركيب عناصر بأخرى مثل تركيب الجملة

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، سلسلة الخطاب والتخاطب ، ص207.

أو المضاف مع المضاف إليه (وقد وردت في كتابه خمس مرات) ، وأما ما ينتظم من العلاقات القائمة بين الفئات وكلها أساسها على التباين بالصفات المميزة وحدها وهي تصنيفية غير تركيبية كما قلنا فلا تسمى بنية.[1]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح ، سلسلة الخطاب والتخاطب ، ص208,

خاتمة

وفي الأخير نختم بحثنا بحوصلة لما سبق التطرق إليه في كنف البحث إذ عالجنا موضوع التفكير اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح ، وكانت النتائج كالآتي:

– أن تكوين الباحث عبد الرحمن الحاج صالح بين الأزهر والجامعات الغربية كان له الدور الفعال في توجيه مساره في البحث والأثر الكبير في تفكيره اللساني مما جعل جهوده اللغوية تصنف ضمن لسانيات التراث وهذا الاتجاه الذي يهدف إلى قراءة التراث اللغوي العربي وربطه بإتجاهات البحث اللساني الغربي الحديث بمختلف نظرياته.

– تميز منهج الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بالتنوع بين المناهج اللسانية والعودة إلى التراث اللغوي العربي والتطبيق على اللغة العربية وتتنوع هذه التوجيهات في طرح موضوعاتها من خلال تنوع النظريات والمناهج التي يقوم المؤلف في كل مرة يسير أغوارها ، حيث تمثل الحاج صالح في هذه العلاقة بوادر تشكيل اللسانيات العربية الحديثة موضوعا ومنهجا.

– ما يميز تفكير ومنهج عبد الرحمن الحاج صالح في البحث اللساني أنه لم يكن منصهرا في المناهج اللسانية الحديثة ولا منبهرا بها ولا رافضا لها أيضا بك كان له منهج نفتح من خلالها على هذه النظريات وراعى في ذلك خصوصية اللغة العربية تعامل مع اللغة العربية بمنظور علمي ولكن في المقابل لم يكن متلقيا سلبيا لهذه النظريات والمناهج بل ناقدا ومناقشا لها دائما.

– لقد كان للحاج صالح إضافة واضحة في الدرس اللساني العربي الحديث وهي إضافة تخص جانب التسطير للنظرية اللغوية العربية من خلال النظرية الخليلية الحديثة وتأصيل نظرية الخطاب العربية.

– إن مؤلفات الحاج صالح اللسانية ثرية ومتنوعة وإن شملت اللسانيات العامة فإن أغلب مواضيعها يخص اللسانيات العربية لذلك تعدها إضافة تثري المكتبة العربية بمراجع قيمة.

– إن مشروعي النظرية الخليلية الحديثة ومشروع الذخيرة العربية ورغم تميزها النظري ، إلا أن تطبيقها في الميدان مازال لم يحقق أهدافه المرجوة خاصة النظرية الخليلية الحديثة وتطبيقها في حوسية اللغة والتعليمات وعلاج أمراض الكلام.

– إن دراسة الجهود اللسانية العربية عند بعض الباحثين لها أهميتها في تقييم الدرس اللساني العربي الحديث بالوقوف على أهم الإنجازات التي يمكن أن يعتد بها وكذلك النقائص والعراقيل التي تحول دون تقدم اللسانيات العربية.

وختاما نقول إن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد أسهم إسهاما متميزا في خدمة اللغة العربية ويظهر ذالك جليا في البحوث الكثيرة التي أنجزها في إطار النظرية الخليلية الحديثة ومشروع الذخيرة العربية أو من خلال جهود الرامية لتطوير تدريس العربية وجعلها اللغة المستعملة بالفعل في جميع ميادين الحياة الإجتماعية والتي بانت عن تفكير لساني عميق مؤسس تأسيسا علميا دقيقا بالرغم من الضغوطات والظلم الذي تعرض إليه في مسيرته العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 2005 .
- بن زروق نصر الدين ، محاضرات في اللسانيات العامة ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2011
- الشريف بوشحدان ، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العامية في ترقية اللغة العربية ، مجلة كلية الأدب والعلوم الانسانية والاجتماعية ، بسكرة ، الجزائر ، العدد السابق ، جوان 2009.
- عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، د.ط ، 2007 ، الجزء 1 .
- عبد الرحمن الحاج صالح ، سلسلة الخطاب والتخاطب .
- عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي .
- منصوري ميلود ، الفكر اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات ، مجلة العلوم الانسانية ، العدد الثامن ، جامعة بسكرة.
- المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المعجم المود لمصطلحات اللسانيات (انجليزي ، فرنسي ، عربي) مكتب تنسيق التعريب ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية .

فهرس المحتويات

شكـــر وتقديـــــر

الإهـــــــداء

مقدمة ..... أ

مدخل..... 3

الفصل الأول : التعريف بعبد الرحمن حاج صالح وبعض مؤلفاته 6

المبحث الأول : أهم آراء العلماء الغربيين في اللسانيات 7

أولا : العالم السويسري فرديناندیسوسير (حياته ، مؤلفاته)..... 7

مؤلفاته : 7

ثانيا : اللساني الدانماركي "لويس هيلمسليف" :..... 10

حياته :..... 10

العالم الروسي كسبون :..... 13

حياته :..... 13

مؤلفاته : 14

المبحث الثاني : التعريف بالعلامة عبد الرحمن الحاج الصالح..... 16

المبحث الثالث :أهم مصنفات عبد الرحمن الحاج الصالح..... 18

السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة : 19

الفصل الثاني :الجهود اللسانية لعبد الرحمن الحاج الصالح 23

المبحث الأول : أهم ما جاء به عبد الرحمن الحاج الصالح في كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، الجزء الثاني. 24

المبحث الثاني : أهم ماجاء في كتاب سلسلة الخطاب والتخاطب لعبد الرحمن الحاج صالح..... 33

خاتمة 39

قائمة المصادر والمراجع..... 42

فهرس المحتويات 44

ملخص : 47

ملخص :

إن مصطلح التفكير اللساني موضوع اهتم به الباحثين والمختصين ، وتراكمت فيه الدراسات والأبحاث ، وظهرت فيه الإجتهادات والنظريات ، كما ظهر أيضا الإتفاق والإختلاف على كافة جوانبه ، وأفكار تنشد التوفيق بين النظريات والإتجاهات المتعارضة ، وكان لزاما على الباحث العربي أنيقف بمعية على ما يحدث في هذا الحيز من العلوم الإنسانية الذي خيّم لى الساحة اللغوية العربية ، لإفتكاك ما هو مناسب وماهو لازم لنظام اللغة العربية اللساني في واقع عالمي تسوده روح التطور.

Summary :

The term linguistic thinking is a topic that researchers and specialists have been interested in, and studies and research have accumulated, and jurisprudence and theories have appeared in it, as well as Agreement and disagreement on all its aspects, and ideas that seek to reconcile opposing theories and trends, and it was necessary for the Arab researcher to stand together on what is happening in this field of humanities that clouded the Arabic linguistic arena, to deconstruct what is appropriate and what is necessary for the linguistic Arabic language system in a global reality dominated by the spirit of development.